﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد ذِكْرِ الآيات العظامِ، تهوينُ شأنِ ما سألوا عنه مِن قصَّة الفتية

بعد أن ذكرَ النَّظمُ الجليلُ مِن آيات اللّه العظام بتزيين الأرض وابتداء الخلق، ثم بيان القدرة على إفنائه؛ أتبعه بتهوين قصَّة أصحاب الكهف، وما جرى معهم بالنَّظر إلى هاته الآياتِ الشّاخصة أمام أعينهم يرونها كلَّ زمانٍ، فلمّا كانت تلك الآياتُ "من العجائبِ التي تضاءل عندها العجائبُ، والغرائبِ التي تخضع لديها الغرائبُ، وإن صارت مألوفة بكثرةِ التَّكرارِ، والتَّجلي على الأبصار، هذا إلى ما لهُ من الآيات التي تزيدُ على العدِّ، ولا يُحصَرُ بحدٍّ، مِن خَلْقِ السَّماوات والأرض، واختلاف اللَّيل والنَّهار، وتسخير الشَّمس والقمر والكواكب، وغير ذلك؛ حقَّر آية أصحاب الكهف، وإن كانت مِن أعجبِ العجبِ؛ لاضمحلالها في جنب ذلك؛ لأنَّ الشَّيء إذا كان كذلك؛ كثر أُلْفُهُ فلم يعد عجبًا، فنبَّه على ذلك بقوله تعالى عطفًا على ما تقديره: (أعلمتَ أنَّ هذا وغيره من عجائب قدرتنا؟): ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَسِبْتَ﴾: (حسب) أصلهُ من العَدِّ، تقولُ: حَسَبتُ الشَّيءَ أحسُبُهُ حَسْبًا وحُسْبانًا، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: 5]، ومِن قياسِ البابِ الحِسبانُ: الظَّنُّ؛ وذلكَ أَنَّهُ فَرَّقَ بَينَهُ وبَينَ العَدِّ بِتَغييرِ الحَرَكَةِ والتَّصريف، والمَعنَى واحِدٌ؛ لِأَنَّهُ إذا قالَ: حَسِبتُهُ كَذا؛ فكأَنَّهُ قالَ: هو في الَّذي أَعُدُّهُ مِنَ الأُمورِ الكائِنَةِ[2]،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 14 - 15.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسب).

وقوله جلَّ شأنه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: 2]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42]، فكلُّ ذلك مصدره الحِسْبانُ، فـ"الحِسْبانُ: أن يُحكمَ لأحدِ النقيضَيْن من غيرِ أنْ يَخْطُرَ الآخَرُ بباله؛ فيَحْسِبُه، ويعْقِدُ عليه الأصبعَ، ويكونُ بمَعرضٍ أن يعتريَه شَكٌّ، ويقاربُ ذلك الظنَّ، لكن الظنَّ: أنْ يُخْطِرَ النقيضَيْن بباله، فيُغلِّبَ أحدَهما على الآخَرِ"[1].

2) ﴿ٱلْكَهْفِ﴾: (كهف) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، وهيَ غارٌ في جَبَلٍ، وجَمعُهُ: كُهوفٌ[2]، والكَهف: كالمَغارة في الجَبَلِ إلّا أنَّه أَوسع مِنها، فَإِذا صَغُرَ؛ فَهو غارٌ[3]، والمُراد بالكَهفِ في الآيةِ: الغارُ الواسعُ المنقورُ في الجبل كالبيت[4].

3) ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: (رقم) أَصلٌ يَدُلُّ عَلَى خَطٍّ وكِتابَةٍ وما أَشبَهَ ذَلِكَ، فالرَّقمُ: الخَطُّ، والرَّقيمُ: الكِتابُ[5]، الرَّقْمُ: الخطُّ الغليظ، وقيل: هو تعجيم الكتاب، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: 9]، حُمِلَ على الوجهَيْن، ورَقمَتا الحمار: الأثرُ الذي على عضديه، وأرض مَرْقومَةٌ: بها أثرُ نباتٍ، تشبيهًا بما عليه أثرُ الكتاب[6]، والرَّقْمُ: الكتابة والخَتْمُ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: 9]، والرَّقيمُ: الكتاب، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾، يقال: هو لوحٌ فيه أسماؤهم وقصصهم[7]، وفي معنى الرَّقيم في الآية خَمسَةُ أَقوال: أَحدهما: عَن ابنِ عَبّاسٍ أَنَّه لَوْحٌ كُتبت فيهِ أَسماؤهم، الثّاني: أَنَّه الدَّواة بِلُغَةِ الرّوم عَنْ مُجاهِدٍ، الثّالِثُ: القَرْيَةُ عَنْ كَعْبٍ، الرّابِعُ: الوادي، الخامِسُ: الكِتابُ عَنِ الضَّحّاكِ وقَتادَةَ، وإِلى هَذا القَوْلِ يَذْهَبُ أَهلُ اللُّغَةِ، وهو فَعيلٌ في مَعْنَى مَفْعول[8]، فأصحُّ الأقوال أنَّه اللوح الذي كُتِبَتْ فيه أسماؤهم وأنسابُهم وقصَّتهم، مأخوذ من رقمتُ الكتابَ؛ إذا كتبتُهُ[9].

(1) الرّاغب، المفردات: (حسب)، وفيه لفظة (بعرض) بدل (بمعرضٍ)، والمتّسق مع النصّ ما أثبتناه، يُنظر: الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 128.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كهف).

(3) ابن منظور، اللسان: (كهف).

(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 704، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 15.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رقم).

(6) الرّاغب، المفردات: (رقم).

(7) الجوهري، الصحاح: (رقم).

(8) ابن منظور، اللسان: (رقم).

(9) طنطاوي: التفسير الوسيط: 8/ 474.

4) ﴿عَجَبًا﴾: (عجب) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى كِبْرٍ واسْتِكْبارٍ لِلشَّيْءِ، فالعُجْبُ: أَنْ يَتَكَبَّرَ الإِنْسانُ في نَفْسِهِ، تَقولُ: هو مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ، وتَقولُ مِنْ بابِ العَجَبِ: عَجِبَ يَعْجَبُ عَجَبًا، وأَمرٌ عَجيبٌ، وذَلِكَ إذا اسْتُكْبِرَ واسْتُعْظِمَ[1]، والعُجْبُ والعَجَبُ: إنكارُ ما يَرِدُ عَلَيْكَ لِقلَّةِ اعْتيادِهِ، وجمعُ العَجَبِ: أَعْجابٌ، وهو النَّظَرُ إلى شيءٍ غَيْرِ مأْلوف ولا مُعتادٍ[2]؛ ولهذا قال بعض الحكماء: العَجَبُ ما لا يُعرف سببُهُ، ولهذا قيل: لا يصحُّ على اللّه التَّعَجُّبُ؛ إذ هو علّام الغيوب لا تخفى عليه خافية، يقال: عَجِبْتُ عَجَبًا، ويقال للشيء الذي يُتَعَجَّبُ منه: عَجَبٌ، وقوله جلَّ شأنه: ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾، أي: ليس ذلك في نهاية العَجَبِ؛ بل في أمورنا أعظم وأَعْجَبُ منه[3].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ليست قصَّةُ أصحاب الكهفِ بأعجبَ مِنَ الآيات المبثوثةِ في الآفاق

يُخاطبُ اللّهُ تعالى النَّبيَّ ﷺ تعريضًا بالذين سألوه عن قصَّة أصحاب الكهف، فهم سألوا عن عجيبٍ، ولم يُبْصِروا ما هو أعجب، فلمّا تعجَّبوا مِن قصَّةِ أصحاب الكهف، وسألوا عنها النَّبيَّ ﷺ على سبيل الامتحان والتَّحدّي؛ خاطبه النَّظمُ الجليلُ بما مُجمل معناه: "بل أظننتَ - يا محمَّدُ ﷺ - أنَّهم كانوا عجبًا مِن آياتنا فقط؟ لا تحسب ذلك، فإنَّ آياتِنا كلَّها عجبٌ؛ فإنَّ مَن كان قادرًا على جعل ما على الأرض زينةً لها للابتلاء، ثمَّ جعل ما عليها صعيدًا جرزًا كأن لم تغْنَ بالأمس؛ لا تستبعدْ قدرتَهُ ولا حفظه ورحمته بالنِّسبة إلى طائفة مخصوصة، وإن كانت قصَّتهم خارقةً للعادة؛ فإنَّ آياتِ اللّه سبحانه كذلك وفوقَ ذلك"[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).
(2) ابن منظور، اللسان: (عجب).
(3) الرّاغب، المفردات: (عجب).
(4) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 14 - 15.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الاستهلالِ في ابتداء قصَّةِ أهل الكهف:

ابـتـداءُ القـصَّـةِ بإنكار العجب منها مِن مقاصدِ السّورة

في افتتاح النَّظم الجليل قصَّةَ أصحاب الكهف بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ براعةُ استهلال[1]، وذلك أنَّه انتقل إلى القصَّة التي هي مِن مقاصد السّورة، وهي بيان قصَّة أصحاب الكهف وإنكار حِسبان أنَّها مِنَ الآيات العجيبة[2]، مع نسيان الآيات العظام مِنَ الخلق وإعادته، فهو "كالانتقالِ مِنَ الدّيباجةِ والمقدِّمةِ إلى المقصودِ، على أنَّ مناسبة الانتقالِ إليه تتَّصل بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾؛ إذ كان ممّا صرف المشركين عن الإيمان إحالتُهُمُ الإحياء بعد الموت، فكان ذِكْرُ أهل الكهف وبعْثُهم بعد خُمودِهم سنينَ طويلة مثالًا لإمكانِ البعث"[3].

دلالةُ ﴿أَمْ﴾ في: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ والخطاب فيه:

الانـتـقـالُ من حديث الإنـذار والتَّسلية إلى قـصَّـة أهـل الكهف

الخطابُ لرسول الله ﷺ، والمرادُ إنكارُ حُسبانِ أمَّته[4]، فعبَّر النَّظم الجليل بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ للانتقال من حديثٍ إلى حديث آخَرَ، وهي هنا بمعنى (بل)، وليست هي للإضراب، فهي لا تُبطلُ الحديث السابق إضرابًا عنه، كما هو الأصل في الدَّلالة، بل هي لمجرَّد الانتقال إلى حديثٍ آخَرَ[5]، ويُحتمَلُ أن تكونَ على بابها بالدَّلالة على الإضراب، فتكونَ "للاستفهام مع الإضراب لمن عجبته، وأنَّها ليست أكثر مِن عجائب الوجود والخلق

(1) براعة الاستهلال: الابتداء الحسن الذي يناسب المقصود من الكلام، قالوا: "يسمّى الابتداء المناسب للمقصود براعة الاستهلال"، يُنظر: السّبكي، عروس الأفراح: 2/ 341، والدسوقي، حاشيته على مختصر المعاني: 4/ 288.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 205.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 258.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 205.

(5) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 14.

بإرادةِ الله، فليس بقاء أجسام إنسانيَّة حيَّةً أمدًا طويلًا، كما أنَّه ليس وجودهم راقدين أكثر من ثلاثمئة سنة أمرًا عجبًا في ذاته مِن خلق السموات والأرضِ وما فيهما، أو من خلق الإنسان مِن طينٍ، أو مِن أدوار خَلقِ الإنسان مِن نطفةٍ مِن ماءٍ إلى علقة إلى مضغةٍ، ليس بقاؤهم أحياءً رقودًا أعجبَ مِن هذا الخلق العظيم"[1].

آياتُ الله تعالى أعظمُ من قصَّة فتية الكهف

ويجوزُ في ﴿أَمْ﴾ أنْ تكونَ عطفًا على معنى الاستفهام في ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، أو بمعنى ألف الاستفهام على الإنكارِ، والتَّعجيبِ، فهو تقرير للنَّبيِّ ﷺ على حسابه أنَّ أصحاب الكهف كانوا عجبًا، بمعنى إنكار ذلك عليه، أي: لا يعظُمُ ذلك بحسب ما عظَّمه عليك السائلون مِنَ الكفرة، فإنَّ سائر آيات الله أعظمُ مِن قصتهم وأشيع[2]، ومنها إماتةُ الأحياء بعد حياتهم؛ فهي أعظم مِن عجب إنامة أهل الكهف؛ لأنَّ في إنامتهم إبقاءً للحياة في أجسامهم، وليس في إماتة الأحياء إبقاءٌ لشيء من الحياة فيهم على كثرتهم وانتشارِهم[3].

بلاغةُ التعريضِ في جملة الحِسْبان:

الغفلةُ آفةُ التدبُّر وانتفاء العِبَر

في حِسْبان الذين طلبوا من النَّبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم بيانَ قصة أهل الكهفِ من أجل استعلام ما فيها من العجبِ تعريضٌ بغفلتهم، بأنَّهم سألوا عن عجيبٍ، وكفروا بما هو أعجبُ، وهو انقراضُ العالم، فإنَّهم كانوا يُعرِضون عن ذِكْر فناء العالمين، ويقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]، أي: إنِ الحياةُ إلّا حياتُنا الدنيا لا حياة الآخرة، وإنَّ الدهر يهلكنا، وهو باقٍ.

سرُّ إيثار الحِسْبان دون الظنِّ:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالحِسْبان دون الظَّنِّ في قوله تعالى:

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4495.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 356.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 259.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾؛ لأنَّ الظَّن ضربٌ من الاعتقاد، والحِسْبانُ لَيْسَ باعتقاد[1]، فالظَّنُّ يدلُّ على أنَّهم اعتقدوا ذلك، وهذا يدلُّ على اليقين، ولكنَّهم لمّا لم يكونوا كذلك، وأراد الله تعالى أن ينكرَ عليهم أدنى درجات الظَّنِّ؛ آثر التَّعبيرَ بالحِسْبان دون الظَّنِّ، فضلًا عن أنَّ الحِسبان أنسبُ بقصَّة أصحاب الكهف؛ إذ إنَّها قائمة على الحساب في سِنيِّ لَبْثِهم في الكهف، وعددهم، واختلاف الناس فيه.

الحِسبان أدنى درجةً من الظَّنِّ في اعتقاد القول

نكتةُ إيثار لفظ ﴿أَصْحَٰبَ﴾، وسرُّ إضافته:

اصطفى النَّظمُ البليغُ التَّعبيرَ بلفظِ الأصحابِ في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾؛ لأنَّ الصّاحب يدلُّ على مُقارَنَةِ شَيْءٍ ومقاربته[2]، والصحبة قرينة الدَّوام، والملازمة[3]، فلمّا كان الفتية قد اقترنوا بالكهف تلك المدَّة المتطاولة، ولازموه مُكثًا فيه، وحصل ما حدث معهم داخلَهُ، كانوا قرناء به، فصاروا أصحابه، ولا صاحب للكهف، بل هو جامعُهم ومأواهم أَووا إليه، فصاروا مقترنين به، فاصطفاء لفظ الأصحاب تعبيرٌ عن تلك الحقيقة.

الـصـاحـبُ هو القـريـن المـلازمُ على الدوام

سرُّ إيثارِ لفظ ﴿ٱلْكَهْفِ﴾ مُعرَّفًا:

الكهفُ: الغار، والفجوة، والنقبُ، والشقُّ المُتَّسع في الجبل، فإن لم يتَّسع سُمّي غارًا فقط[4]، والألف واللام فيه للعهد؛ لكونه كهفَ الفتيةِ المعلومِ ذِكْرُهم، والذي اتَّخذوه مستقرًّا لهم[5].

الكهف مُستَقَرُّ الفتيةِ في نقْبِ الجبل

دلالةُ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ ومعنى العطفِ:

انقسم القولُ في ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ على وجهين، فمَن قال: إنَّهم و(أَصْحابَ الكَهْفِ) طائفتان؛ قال: أخبر الله تعالى عن أحدهما،

أصحابُ الكهف والرّقيم وصفان لطائفةٍ واحدةٍ

(1) العسكري، الفروق، ص: 99.
(2) مقاييس اللغة: (صحب).
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 7/ 401: 9/ 105.
(4) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1091، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 14/ 8847.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 474.

ولم يُخبر عن الآخرِ، ومَن قال: إنَّهما طائفةٌ واحدة، ذكروا في المراد به أقوالًا مُتعدِّدة، منها: أنَّه اسم كلبهم، ومنها أنَّه اسم الجبل أو الوادي الذي كان فيه الكهف، ومنها أنَّه اسم القرية التي خرج منها هؤلاء الفتية، أو لوح مِن ذهب، أو فضَّة، أو حجر كُتِبَ عليه أسماؤهم وقصَّتهم، وقالوا غير ذلك[1].

القول الرّاجح

ولعلَّ أقربَ الأقوال إلى الصواب أنَّ المُراد به اللوحُ الذي كُتِبَتْ فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصَّتهم، فيكون الرَّقيمُ بمعنى المرقوم - فهو فعيل بمعنى مفعول - وهو مأخوذٌ مِن: رقمتُ الكتابَ؛ إذا كتبتُه، وبذا يكون أصحابُ الكهف والرقيم طائفةً واحدةً أُضيفت إلى شيئَيْن، معطوفٌ أحدُهما على الآخر[2]، وهو المناسب للسّياق لينتفي التباينُ بين تفصيل الحديث عن قصَّة أصحاب الكهف، وعدم الحديث عن (أصحاب الرَّقيم) في السورة كلِّها إجمالًا أو تفصيلًا، فيغدو ذِكْرُهم مثارَ استفهامٍ وسؤالٍ.

دلالةُ ﴿مِنۡ﴾ الدّاخلة على الآيات:

الآيـاتُ الكونية العـظـيـمـةُ شاخصةٌ لكلِّ نـاظـر ولـيـس بعضها قصَّتَهم

أدخل النَّظمُ الجليل حرف الجرِّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾؛ للدَّلالة على التَّبعيض، أي: "ليست قصَّة أهل الكهف منفردة بالعجب من بين الآيات الأخرى، كما تقول: سأل فلانًا، فهو العالم منّا، أي: المنفرد بالعلم من بيننا"[3]، فالإنكارُ جيء به لردِّ هذا الظَّنِّ، فقصَّتهم ليست من بعض الآيات العجيبة؛ لأنَّ هناك أعجبَ منها ما لا يحصر مِن عظيم الآيات والمعجزات، فلمّا تعجَّبوا مِن قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها النَّبيَّ ﷺ؛ أنكر النَّظمُ الجليل ذلك

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 98، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 474.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 474 - 475، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 14/ 8847.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 260.

بقوله: بل أظننتم أنَّهم كانوا عجبًا مِن آياتنا فقط؟ لا تحسبوا ذلك، فإنَّ آياتِنا كلَّها عجيبةٌ[1].

نكتةُ التعبيرِ بلفظ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾، وسرُّ إضافته:

دلائلُ الحقِّ وفيرةٌ بالغة العِظَم جليلة القدر

عبَّر النَّظم الجليل بلفظ الآيات في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ تعبيرًا عن الآيات الدّالَّة على عظمة الخالق، والتي من جملتها ما ذكر مِن جعْل ما على الأرض زينَةً لها، ثم إفنائه بجعلِه صعيدًا جُرزًا حتّى كأنَّها لم تغنَ بالأمس، فمن كان قادرًا على ذلك؛ فلا تستبعدْ قدرتَهُ وحفظه ورحمته بأولئك الفتية، وإن كانت قصَّتهم خارقةً للعادة؛ فإنَّ آياتِ الله سبحانه كذلك وفوقَ ذلك[2]، فلا تحسبْ أنَّ قصَّتَهم مِن جملة تلك الآيات، وإضافتُها إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسَهُ تعظيمٌ لشأن هذه الآيات، وإشارةٌ إلى أنَّها كائنة بعلمه وإرادته وإتقانه ﷻ.

سرُّ تقديمِ الجارّ والمجرور على ﴿عَجَبًا﴾:

تقديمُ نفي كونها مِن آياتِ الله أبلغُ في نفي التَّعظيم والعجب عنها

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبه الجملة مِنَ الجارِّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ دون أن يقول: (كانوا عجبًا من آياتنا)؛ فنفى كونهم من الآيات المضافة لله تعالى المكتسِبةِ التَّعظيم بتلك الإضافة، قبل أن يصفها بالعجب، وهو الأهمُّ؛ لأنَّ اتِّصافها بكونها مِن آياتِ الله ينفي ضمنًا العجبَ عنها، ولأنَّ الظَّنَّ وقع بكونها كائنةً من آيات الله تعالى، فبدأ بنفي ذلك أوَّلًا.

جمالُ المبالغةِ بالوصف بالمصدرِ ﴿عَجَبًا﴾:

آياتُ الله هي العجبُ نفسُهُ فأنَّى لكم إغفالها والتَّعجُّب من غيرها؟

وصف النَّظمُ الجليل الآياتِ بالمصدر ﴿عَجَبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ للمبالغة في صفة العجب لتلك الآيات، فيكون المعنى أنَّ قصَّةَ

(1) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 322.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 322.

أصحاب الكهف ليست من تلك الآيات بالغةِ العجب[1]، والمبالغةُ متحصِّلة من كون الآيات هي العجب ذاتَه، أي: ليست عجيبةً حسبُ، بل هي العجب نفسُهُ، وجيء بهذه المبالغة ردًّا "على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب، والواقع أنَّهم – وإن كانوا من العجائب – ليسوا بعجب بالنِّسبة إلى كثرة آياتنا"[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحِسْبان والظَّنّ:

الحِسبان: حكم بلا ترجيح لافتقاره إلى الدَّليل، والظَّنُّ: ترجيح قريب من اليقين، والحسبان دونه في ذلك؛ لأنَّ "الظَّنَّ ضربٌ من الاعتقاد، وقد يكون الحِسبان ليس باعتقادٍ، ألا ترى أنَّك تقول: أحسب أنَّ زيدًا قد مات، ولا يجوز أن تعتقد أنَّه مات مع علمك بأنَّه حيٌّ"[3]، فآثر النَّظم الجليل التَّعبير بالحسبان في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ دون الظَّنِّ تعبيرًا عن أنَّهم لم يعتقدوا ذلك، ولم يترجَّح في أذهانهم، ولم يعبِّر بالظَّنِّ؛ لأنَّهم لم يكونوا في يقينٍ من ذلك.

الحِسْبان خاطرة مفتقرة للدَّليل، والظَّنُّ ترجيحٌ يضاهي اليقين

الكهف والغار:

(كهف) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، وهيَ غارٌ في جَبَلٍ، وجَمعُهُ: كُهوفٌ[4]، وهو كالمَغارة في الجبَلِ إلّا أنَّه أوسع مِنْها، فَإِذا صَغُرَ؛ فَهو غارٌ[5]، وفي الآية المراد بالكهف: الغارُ الواسع المنقور في الجبل كالبيت[6]؛ لأنَّهم جماعةٌ لا يؤويهم الغار؛ إذ لا يقوم بشروط المأوى لجماعة كثُر عددهم، من حيث السَّعةُ، والاستيعاب، وانسيابيَّةُ التحرُّك.

مـا اتَّـسـع من الـثُّـغـور في الجبال كهفٌ، وما ضاق منها غارٌ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 15.
(3) العسكري، الفروق، ص: 99.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كهف).
(5) ابن منظور، اللسان: (كهف).
(6) الزمخشري، الكشاف: 2/ 704، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 15.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»